

الظواهر الصوتية والصرفية في شروح المعلقات

(شرح ابن الأنباري والنحاس كمنموذجين)^١

* سميه حسنعليان

** سيدمحمد رضا ابن الرسول

الملخص

نظراً لأهمية المعلقات في الأدب العربي من الجوانب المختلفة التفسيرية، والنحوية، واللغوية، والبلاغية اهتم بها كثير من الشراح وأولوها عناية فائقة. أشار هؤلاء الشراح في شروحهم إلى مسائل كثيرة كالنحو، والبلاغة، واللغة، والمعنى. ومن الموضوعات التي تثير الانتباه وتجدر بالبحث والتحقيق القضايا الصوتية والصرفية. لذلك يستهدف البحث هذا إلى دراسة هذا الجانب الهام في شرحين من الشروح القديمة للمعلقات هما شرحا ابن الأنباري والنحاس لشهرتهما الواسعة واهتمامهما باللغة والنحو. والمنهج الذي يتبعه البحث هو الوصفي - التحليلي. تبين من خلال البحث أن ابن الأنباري والنحاس أشارا إلى القضايا الصوتية والصرفية في شرحيهما خاصة في بيان معنى الألفاظ الغريبة للمعلقات.

الكلمات المفتاحية: شرح المعلقات، ابن الأنباري، النحاس، الظواهر الصوتية، الظواهر الصرفية.

المقدمة

ما من عصر من عصور التاريخ الطويلة التي عاشت فيها الأمة العربية إلا وبرزت فيه العناية الواضحة بالشعر الجاهلي عامة والمعلقات خاصة. تلك القوائد النفيسة التي تُصور البيئة الجاهلية تصويراً واقعياً وتدلل أيضاً على النضج اللغوي عند العرب. للمعلقات مكانة مرموقة عند العلماء والأدباء لذلك نراهم يهتمون بها ويستشهدون بها في مؤلفاتهم الأدبية، والتاريخية،

١- تاريخ التسلم: ١٣٩٢/٩/٥هـ. ش؛ تاريخ القبول: ١٣٩٣/٥/١٩هـ. ش.

والبلاغية، والنحوية، والتفسيرية، كما أن أثر المعلقات في النحو لا يقلّ عنه في التفسير؛ فقد حظيت هذه القصائد بجهود النحاة قديماً وحديثاً فكثرت الشواهد النحوية من شعر المعلقات وخاصة إذا اعتمدت برواياتها المختلفة. ولبعض هذه الشواهد أثر كبير في تثبيت القاعدة النحوية ولا سيّما القواعد التي انفردت شواهد المعلقات دون سواها في تثبيتها (دويكات، ٢٠٠٠م، ص ١٤).

وبدأ كثير من العلماء بشرح هذه القصائد ولا يخامرنا شكّ أنّ هناك أسباباً مهّدت لنشأة شروح الشعر عامة والمعلقات خاصة، منها: سبب تاريخي، وسبب لغوي، وسبب عاطفي. ولعل من أهم هذه الشروح القديمة: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، وشرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ).

وقد أولى العلماء عنايتهم بالموضوعات المختلفة في هذه القصائد ومنها القضايا الصوتية والصرفية، فكان من الأهمية بمكان، تسليط الضوء على منهج الشراح (وخاصة ابن الأنباري والنحاس كنموذجين) في بيان تلك القضايا المذكورة وتوضيحها، لأننا إذا أعدنا النظر في الشروح لاحظنا أنها مليئة بكثير من القضايا الصرفية، والصوتية ناهيك عن الناحية اللغوية، والنحوية، والبلاغية، والدلالية، فضلاً عن أنها تكون مرجعاً لكثير من الطلاب ودارسي المعلقات.

من أهم الأهداف التي تقصد هذه المقالة أن تحققها: دراسة منهج ابن الأنباري والنحاس في شروحهما، والإشارة إلى آرائهما في القضايا الصوتية والصرفية. والمنهج الذي يتبعه هذا البحث هو الوصفي - التحليلي.

أما الدراسات التي كُتبت عن الأدب الجاهلي والمعلقات فهي كثيرة لا مجال لذكر كلها هنا، وحسب القارئ المراجعة إلى كتاب مكتبة العصر الجاهلي لعفيف عبد الرحمن ليحصل على مجموعة ضخمة من الكتب، والمقالات والدراسات الجامعية التي درست الأدب الجاهلي من جوانبه المختلفة الفنية والموضوعية وغيرها، أما بعض الكتب التي أفاد هذا البحث منها فهي:

- كتاب الوافي بالمعلقات قراءة حديثة لخطابها الشعري وتاريخها لطلال حرب، تولت طبعه المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، عام ١٩٩٣م.

- كتاب معلقات العرب؛ دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر العربي لبدوي طبانة، مطبوع ببيروت بدار الثقافة، عام ١٩٨٥م.

- مقالة بعنوان «المعلقات» لنعمان النصيري مطبوعة في مجلة ميقات الحج، ١٠ (١٤١٩هـ): ٢٣٤ - ٢٦٣.

- رسالة جامعية بعنوان «أثر المعلقات العشر في النحو العربي» لجهاد محمد إحميد دويكات. جامعة النجاح الوطنية بنابلس. كلية اللغة العربية وآدابها. ٢٠٠٠م.

وأما الدراسات السابقة عن شروح المعلقات فهي:

- مقالة «گفتاری کوتاه درباره شرح شتتمری بر اشعار شعراى جاهلی» لقول مجمل في شرح الشتمري لأشعار الشعراء الجاهليين] للدكتورة عزت ملا إبراهيمي. مقالة مطبوعة في مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية جامعة طهران. عام ١٣٧٩هـ.ش.

- مقالة «الإعراب في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر بن الأنباري: دراسة وصفية» لعلي محمد المدني، مقالة مطبوعة في مجلة جامعة الملك سعود. المجلد ٧. عام ١٩٩٥م.

ولكننا لم نعر على بحث شامل وافٍ لموضوع القضايا الصوتية والصرفية في تلك القصائد النفيسة وهذه المهمة هي التي تكفلتها هذه الدراسة المتواضعة.

٢- الظواهر الصرفية في شروح المعلقات

نعني بالقضايا الصرفية في هذه المقالة ما أشار الشارحان في شرح الألفاظ إليه من مباحث صرفية والتي تعين القارئ في فهم الأبيات فهماً دقيقاً والتي أعطاها أعظم جهودهما واهتمامهما في كتابهما، إذ كل من ابن الأنباري والنحاس اهتما بالألفاظ في شرحيهما للمعلقات وهي تحتوي على مجموعة ضخمة من المفردات والألفاظ التي أصبحت بعد مضي زمن غير مألوفة لأهل اللغة ولا بد من شرحها وبيان معناها. وإن لم يكن المعنى الغاية الأولى لديهما في شرحهما ولكننا نراهما يستخدمان شرح المفردات والعبارات والنحو والبلاغة خدمة للمعنى.

من أهم هذه الظواهر الصرفية في شرحي ابن الأنباري والنحاس:

٢-١- الإشارة إلى تذكير لفظية ما أو تأنيثها

كما أشار ابن الأنباري إلى ذلك في شرحه الأبيات التالية:

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمَسْكُ مِنْهُمَا تَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيَا الْقَرْنُفَلِ

"وقال الفراء: المسك مذكر فإذا أنث فإنما يذهب إلى الريح وقال غيره: المسك والعنبر يذكران ويؤنثان" (ص ٣٠).

إِذَا ابْتَدَرَ الْقَوْمُ السُّلَّاحَ وَجَدْتَنِي مَنِيْعاً إِذَا بَلَّغْتَ بِقَائِمِي يَدِي

"والسلاح يذكر ويؤنث" (ص ٢١٥).

تَهْدِدُنَا وَأَوْعِدُنَا رُوَيْدَا مَتَى كُنَّا لِأُمَّكَ مَقْتُونَا

"قال أبو عبيد: قال أبو عبيدة: قال رجل من بني الحرماز: هذا رجلٌ مَقْتُونٌ، ورجلان مَقْتُونٌ، ورجالٌ مَقْتُونٌ، كله سواء وكذلك المؤنث" (ص ٤٠٣).

بَأْتَا الْعَاصِمُونَ بِكَلِّ كَحَلِّ وَأَتَا الْبَاذِلُونَ لِمُجْتَدِينَا

"وقال الفراء: كحل: سنة شديدة وهي أنثى" (٤١٨).

وَرَمَتْ دَوَابِرَهَا السَّنْفَا وَتَهَيَّجَتْ رِيحُ الْمَصَافِرِ سَوْمُهَا وَسَاهُمَا

"ويروي: "ورمى دوابرها السنفا" فمن أنث السنفا قال: السنفا مؤنثة ومن ذكر قال: هو ما يذكر ويؤنث" (ص ٥٤٨).

زُجَلَا كَأَنَّ نِعَاجَ تَوْضَحَ فَوْقَهَا وَظَبْيَاءَ وَجَرَّةَ عَطْفَا أَرَامُهَا

"الأرام: ظباء بيض خوالص البياض والواحد رثم والأنثى رثمة" (ص ٥٣١).

وإليك بعض النماذج من شرح النحاس: قال في شرح البيت الـ٧٦ لامرئ القيس:

وَمَرَّ عَلَى الْقَنَانِ مَنْ تَفَيَّأَنِيهِ فَأَنْزَلَ مِنْهُ الْعَصْمَ مِنْ كَلِّ مَنْزِلِ

"العصم: الوعول، واحده أعصم، والأنثى أروية وعصماء" (ج ١، ص ٤٧). أو قال في شرح البيت الـ٢٣ لزهير:

فَأَصْبَحَ يُخْدِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالِ مُزْنَمِ

١. الأرقام هي رقم الصفحات من كتابي ابن الأنباري والنحاس.

«الإفال: الفصلان، والواحد أفيل، والأنثى أفيلة» (ج ١، ص ١١٠).

وأشار أيضاً إلى الكلمات التي تذكّر وتؤنث ك «الحانوت» (ج ١، ص ٧٧)، و«المتن» (ج ١، ص ١٠٤)، و«السلم والسلم» (ج ١، ص ١٠٩)، و«الفرس» (ج ١، ص ١٦٧)، و«الحمامة» (ج ١، ص ١٦٨، ج ٢، ص ١٦٨)، و«الكف» (ج ٢، ص ٣٧)، و«المنون» (ج ٢، ص ٦٥).

وقال في شرح البيت الـ٤٧ لزهير، شارحاً نقطة لطيفة في الأمر:

وَمَنْ يَعِصِ أَطْرَافَ الزُّجَاجِ فَأَيْدِيَهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكْبَتِ كُلِّ لَهْدَمٍ

«والعوالي جمع عالية وهي أعلى الرمح التي يكون فيها السنان [...] قال أبو عبيد القاسم بن السلام العالية والسنان واحد ومن الأشياء ما يسمّى بالمذكر والمؤنث نحو خوان ومائدة ونحو قوله ﷺ: ﴿وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ (يوسف ١٢ : ٧٢)؛ يعني الصواع وبعده: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ عِمَاءِ أَخِيهِ﴾ (يوسف ١٢ : ٧٦)؛ يعني السقاية، والسقاية والصواع واحد وقال غير أبي عبيد: الصواع يذكر ويؤنث فجاء القرآن باللغتين» (ج ١، ص ١٢١).

٢-٢. بيان معنى الكلمات وتوضيحه من خلال تصريف الألفاظ المذكورة في البيت بذكر ماضيه ومضارعه ومصدره

وهو مما نلاحظ عند ابن الأنباري كثيراً في شرحه، كما هو الحال في الأبيات التالية:

• «وجد»

فَمَا وَجَدَتْ كَوْجِدِي أُمُّ سَقِيمٍ أَضَلَّتْهُ فَرَجَعَتْ الْحَنِينَا

«وقال الأخصس: ضَلَّتْ أَضَلُّ، على مثال علمت أعلم، وضَلَّتْ أَضِلُّ على مثال ضربت أضرب، ويقال: وجدت في الحزن وَجْدًا، ووجدت على الرجل موجدة، ووجدت في المال وَجْدًا وَجْدَةً، ووجدت الضالة وَجْدَانًا» (ص ٣٨٥).

• «بطل»

تَخَالُ جَمَاجِمَ الْأَبْطَالِ فِيهَا وَسُوقًا بِالْأَمْعَانِ يَرْتَمِينَا

«الأبطال: الأشداء، يقال بَطُلَ الرَّجُلُ يَبْطُلُ بَطُولَةً إِذَا كَانَ بَطْلًا» (ص ٣٩٦).

• «ردى»

وَكَأَنَّ الْمَنُونَ تَرْدِي بِنَارٍ عَن جَوْنًا يَنْجَابُ عَنْهُ الْعَمَاءُ

«وقوله «تردي» يقال رَدَى يَرْدِي رَدْيًا وَرَدْيَانًا، إِذَا رَمَى؛ وَرْدِي يَرْدِي رَدَى إِذَا هَلَكَ» (ص ٤٦١).

• «كافأ»

مَلِكٌ أَضْلَعُ الْبَرِيَّةَ لَا يُوْجَدُ فِيهَا لِمَا لَدَيْهِ كِفَاءُ

«يقال: كافأت الرجل أكافئه مكافأة وكفاء» (ص ٤٧٦).

• «عشي»

فَاتَرَكُوا الْبَغْيَ وَالْتَعَدَى وَإِمَا تَتَعَاشَوْنَ فَفِي التَّعَاشِي الدَّاءُ

«التعاشي: التعامى، يقال: تعاشى يتعاشى تعاشياً، وقد عَشَى يَعْشَى عَشَى. ويقال: عَشَوْتُ أَعْشَوْتُ إِذَا نَظَرْتُ نَظْرًا ضَعِيفًا» (ص ٤٧٧).

• «بسل»

وَإِذَا ظَلَمْتُ فَإِنَّ ظُلْمِي بِاسِلٌ مُرٌّ مَذَاقْتُهُ كَطَعْمِ الْعَلَقِ

"يقال رجلٌ باسلٌ وبسيل، إذا كرهت مرآه ومنظره وقد بسُلَ بسالةً، وتبسَلَ تبسلاً" (ص ٣٣٦).

• «بطؤ»

بَطِيءٌ عَنِ الْجُلَى سَرِيعٌ إِلَى الْخَنَا ذَلُولٌ بِأَجْمَاعِ الرُّجَالِ مَلْهُدٌ

"يقال: بَطُوٌ يَبْطُوُ بَطًا وَبُطَاءَةٌ وَبُطَاءٌ" (ص ٢٢٤).

• «سنا»

يُضْيِي سَنَاةٌ أَوْ مَصَابِيحَ رَاهِي أَمَانَ السَّالِيطَ بِالذُّبَالِ الْمُفْتَلِ

"السنا: الضوء، مقصور يكتب بالألف، ويُقال في تثنيته: سنوان، ويقال في تصريفه: سَنَا يسنو سنوًا" (ص ١٠٠).

• «مرر»

فَمَرَّتْ كَهَاءَةً ذَاتُ خَيْفٍ جَلَالَةٌ عَقِيْلَةٌ شَيْخٌ كَالْوَبِيْلِ يَلْنَدَرُ

"يقال: مَرَّ يَمُرُّ مَرورًا ومَرًّا، إذا تقدّم وأسرع. ويقال: مَرَّةً ومَرَاتٍ ومَرورٍ ومَرٌّ. [...] ويقال مَرَّ الشَّيْءُ يَمُرُّ مَرارةً، وأَمَرَّ يَمُرُّ إِمارةً، إذا صار مَرًّا، ويقال: أَمَرَرْتُ الحَبْلَ إذا أُنعمت قتله وأحكمته والحبل مُمَرٌّ والرجل مُمَرٌّ" (ص ٢١٩).

• «لام»

أَلَا أَيُّهَذَا اللَّائِمِي أَشْهَدُ الْوَعْيَ وَأَنْ أَحْضَرَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

"يقال: لمث الرجل ألومه لوماً ولائمةً وملاماً إذا عزلته ويقال: رجل لومةً يلوم الناس، ولومةً يلومه الناس، وقد ألّم الرجل فهو ملّيم، إذا أتى بما يلام عليه وألّم إذا أتى باللوم ورجلٌ ملامٌ بكسر الميم والهمز إذا كان يعذر اللثام" (ص ١٩٢).

إليك بعض النماذج في شرح النحاس على سبيل المثال لا الحصر:

• «شدن»

وَفِي الْحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمَرْدَ شَادِنٌ مُظَاهِرٌ سَمَطِي لَوْلِي وَزَبْرَجِدٌ

"الفعل من قوله: شادن، شَدَنَ يَشْدُنُ شَدُونًا يُقال: شَدَنَ يَشْدُنُ إذا قوي" (ج ١، ص ٥٦).

• «أل»

مَوْلَاتَانِ تَعْرِفُ الْعِتْقَ فِيهِمَا كَسَاوَعَتِي شَاةٌ بِحَوْمَلٍ مُفْرَدٌ

"وقوله مَوْلَاتَانِ بمنزلة الآلة وهي الحربة ويقال: أَلُّ يُوَلُّ إذا سار، وَأَلُّ يُوَلُّ أَلًا: إذا صفا لونه وأشرق، وَأَلُّ يُوَلُّ أَلًا إذا دعا وجار" (ج ١، ص ٧٢).

• «صدي»

كَرِيمٌ يُرْوِي نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ سَتَعْلَمُ إِنْ مُتْنَا غَدًا أَيُّنَا الصَّدي

"يقال: صَدْرِي يَصْدِي فهو صَدْرٌ وَصَادِرٌ وَصَدْيَانٌ" (ج ١، ص ٨٢).

• «حلّ، أحرم»

جَعَلَنَ الْقَنْانَ عَن يَمِينٍ وَحَزَنَهُ وَمَن بِالْقَنْانِ مِن مُجَلٍّ وَمُحْرِمٍ

"وقد حلّ من إحرامه يجلّ حلاً فهو حلال ولا يقال: حالٌّ وقد أحرم بالحلّ يحرمُ إحراماً فهو مُحْرَمٌ وَحَرَامٌ" (ج ١، ص ١٠٢).

• «وفر»

وَمَن يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِن دُونِ عَرْضِهِ يَفْرُهُ وَمَن لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمُّ

"وقد وفرّته وفرّته وفارةٌ ووفراً ووفرةٌ، وأعطى فلانٌ حقّه ووجهه وافرّ: أي لم ينتقصه ولفلان وفرّة أي شعر تامّ، والأصل في قوله: يفرّهُ يوفّره فحذفت الواو لوقوعها بين ياءٍ وكسرةٍ ثم أتبع بعض الفعل بعضاً" (ج ١، ص ١٢٤).

• «وحم»

يَعْلُو بِهَا حَدَبَ الْإِكَامِ مُسَجَّجاً قَد رَابَهُ عَصِيَانُهَا وَوَحَامُهَا

"والوحام: الشهوة، [...] قيل: قد وَحِمَتْ تَوْحَمٌ وَحَمًا والمصدر الوَحْمُ [...] قال أبو الحسن: يقال وَحِمَتْ تَوْحَمٌ وَحَمًا وَوَحَامًا إذا اشتَهت الفحل" (ج ١، ص ١٤٣).

• «عله»

عَلَيْتَ تَبْلُدُ فِي نِهَاءِ صُعَائِدٍ سَبْعاً تُؤَاماً كَأَمِلَ أَيَّامُهَا

"عَلَيْتَ: اشتدّ جزعها، ويقال: عَلِهَ يَعْلُهَ عَلَهَا" (ج ١، ص ١٥٤).

• «ذاد»

لِتَذُودَهُنَّ وَأَيَقَنَّتْ إِنْ لَمْ تَذُدْ أَنْ قَد أَحَمَّ مِنَ الْخُتُوفِ جِمَامُهَا

"قوله لتذودهنّ أي لتدفعهنّ وتطردهنّ، يقال: ذاده يذوده ذيادةً إذا طرده، ويجوز ذاده ذوداً على الأصل لأن أصل مصادر الثلاثي أن تكون على فعلٍ" (ج ١، ص ١٥٨).

• «سبأ»

أَغْلِي السُّبَاءَ بِكُلِّ أَدَكَنٍ عَاتِقٍ أَوْ جَوْنَةٍ قُدْرَحَتْ وَفُضَّ خِتَامُهَا

"يقال: سَبَاتُ الْخَمْرِ أَسْبُوها سِبَاءً وَمَسْبَأً" (ج ١، ص ١٦٢).

• «حمي»

وَأَقْدَحَمَيْتُ الْحَيَّ تَحْمِلُ شِكَّتِي فُرْطٌ وَشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِجَامُهَا

"يقال: حميتُ الموضوعَ حمىً إذا منعت منه، وأحميته صيرته حمىً حتى لا يقرب منه، وحميتُ القومَ في الحرب حمايةً وحميتُ المريضَ حميةً وأحميتُ الحديدَ إحماءً، وتحمى القوم إذا منع بعضهم بعضاً" (ج ١، ص ١٦٥).

• «رقي»

تَرْقَى وَتَطْعُنُ فِي الْعِنَانِ وَتَنْتَحِي وَرَدَ الْحَمَامَةَ إِذْ أَجَدَّ حَمَامَهَا

"ويقال رقيت أرقي رقياً: إذا صعدت ورقيت أرقي رقياً من الرقية، ورقاً الدمع يرقاً الدمع رُقوءاً إذا انقطع" (ج ١، ص ١٦٨).

• «نذر»

الشَاتِمِي عَرْضِي وَلَمْ أَشْتَمِهَا وَالنَّافِرِينَ إِذَا لَمَّ أَلْقَهُمَا دَمِي

"يُقال: نَذَرْتُ النَّذْرَ أَنْذَرُهُ هَذَا الْفَصِيحُ، وَقَدْ حُكِيَ أَنْذَرُهُ إِذَا أَوْجَبْتَهُ عَلَى نَفْسِكَ، وَيُقال: نَذَرْتُ بِالْقَوْمِ أَنْذَرُ إِذَا عَلِمْتَ بِهِمْ فَاسْتَعَدَدْتَ لَهُمْ، وَأَنْذَرْتُ دَمَ فُلَانٍ إِذَا أَبَحَّتهُ" (ج ٢، ص ٤٧).

• «ثوى، نجا»

غَيْرَ أَتَيْ قَدْ أَسْتَعِينُ عَلَى الْهَمِّ إِذَا خَفَّ بِالسُّقْيِ النَّجَاءُ

"الثوي: المقيم، وهو على التثنية فإن أردت أن تجريه على الفعل قلت: ثاو على لغة من قال: ثوى يثوي، ومن قال: أثوى يثوي، قال في اسم الفاعل: مثو، والنجاء السرعة والانكماش، يقال: نجا ينجو نجاءً" (ج ٢، ص ٥٦).

وربما أشار في شرحه إلى الفعل في أبواب المزيد المختلفة ذاكراً لازمه ومتعديه ومطاوعه، كقوله في شرح البيت الـ ٤ لزهير:

فَشَدَّ وَلَمْ يُنْظَرْ بُيُوتاً كَثِيرَةً لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمَّ قَشَعَمَ

"ويقال: قشعت الريح التراب فانقشع، ويقال: أقشع القوم عن الشيء، وتقشعوا: إذا تفرقوا عنه وتركوه" (ج ١، ص ١١٨).
أو قوله في لفظة «أقذاء» في البيت الـ ٣١ للحارث:

أَوْسَكْتُمْ عَنَّا فَكُنَّا كَمَنْ أَعْمَى مَضَّ عَيْنَا فِي جَفْنِهَا أَقْذَاءُ

"يقال: قد قذيت عينه تقذى إذا تَضَمَّتِ الْقَذَى، وَأَقْذَيْتُهَا إِذَا جَعَلْتَ فِيهَا الْقَذَى، وَقَذَتْ تَقْذِي إِذَا رَمَتْ الْقَذَى وَقَذَيْتُهَا إِذَا أَخْرَجْتَ مِنْهَا الْقَذَى" (ج ٢، ص ٦٨).

٢-٣. الاهتمام ببيان تكوين الكلمات المصغرة

قال ابن الأنباري في شرحه البيت الأربعين لعمرو:

حُدَيَّا النَّاسِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً مُقَارَعَةً بَنِيهِمْ عَن بَنِينَا

"وقال: حدياً تصغير حدوى، كأنه قال: أهدو الناس كلهم بالمقارعة ولا أهاب أحداً فأستثنيه" (ص ٣٩٩). وكذلك إشارته إلى تصغير كلمة «رويداً» في البيت الـ ٤٦ لعمرو:

تَهْدِدُنَا وَأَوْعِدُنَا رُوَيْدَا مَتَى كُنَّا لِأُمَّكَ مَقْتُونَا

قال: "ورويداً نصب على المصدر وهو تصغير رُود، أنشدنا أبو العباس:

تَكَادُ لَا تَكْتَلُمُ الْبَطْحَاءَ وَطَائِئِهِ كَأَنَّهُ ثَمَلٌ يَمْشِي عَلَى رُودٍ"

وذلك [الإشارة إلى تصغير الكلمات] في شرح النحاس في ستة مواضع هي:

١- قال في شرح لفظة «الثريا»، في البيت الـ ٤٨ لامرئ القيس:

كَأَنَّ الثَّرِيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا بِأَمْرَاسٍ كَثَّانٍ إِلَى صُومٍ جَنْدَلٍ

"الثريا تصغير ثُرْوَى مقصورة" (ج ١، ص ٣٢).

٢- وفي شرحه البيت الـ ٨١ لامرئ القيس:

كَأَنَّ مَكَاكِيَّ الْجَوَاءِ غُدِيَّةٌ صُيْحَنَ سُلَافًا مِنْ رَحِيْقِي مُفْلَلٍ

"غدية تصغير غداة ويحتمل أن يكون تصغير غُدْوَةٍ" (ج ١، ص ٤٩).

٣- وقال في شرح البيت الـ ٢١ لزهير:

فَأَصْبَحْتُهَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمٍ

"والحرب مؤنثة وتصغيرها خُرب هاء لأنها في الأصل مصدر" (ج ١، ص ١١٠).

٤- وكذلك قال في البيت الـ ٤٢ لعمرؤ:

فَأَمَّا يَوْمَ خَشِيَّتِنَا عَلَيَّهِمْ فَتُصْبِحُ خَيْلُنَا عَصَابًا تُبِينَا

"وتقول في تصغير تُبَّةٍ تُبِيَّةٌ ترد إليها ما حذف منها" (ج ٢، ص ١٠٧).

٥- وقال في شرح البيت التاسع عشر للأعشى:

صَدَّتْ هُرَيْرَةٌ عَنَّا مَا تَكَلَّمْنَا جَهْلًا بِأَمِّ خَلِيدٍ حَبَلٍ مَن تَصَلُّ

"وروى أبو عبيدة: صَدَّتْ خُلَيْدَةٌ، وقال: هي هريرة وهي أم خُلَيْدٍ وخُلَيْدٍ تصغير خَلْدٍ ويجوز أن يكون تصغير خَالِدٍ على حذف الألف لأنها زائدة"

(ج ٢، ص ١٣٦).

٦- في شرح البيت الـ ٦٢ للأعشى:

تَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْجَنُودِ ضَاحِيَةً جَنِينِي فُطَيْمَةً لَا مَيْلَ وَلَا عُزْلُ

قال: "وْفُطَيْمَةٌ مصغرة، تصغير الترخيم وهو أن تحذف زوائد الاسم حتى يصير إلى ثلاثة أحرف ثم تصغر" (ج ٢، ص ١٥٣). ويلاحظ أنه أشار

إلى مصطلح «تصغير الترخيم» عند الصرفيين وشرحه.

٢-٤. توضيح دلالة المشتقات

كقول ابن الأنباري في إشارته إلى دلالة المصدر؛ إذ وضَّح أن المصدر يتسع في الدلالة ليلعب في الجملة دور الحال؛ قال في شرح

البيت الخامس لامرئ القيس:

وُقُوفًا يَهَا صَاحِبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسِيًّا وَتَجْمَلُ

"قال البصريون: نصب أَسِيًّا لأنه مصدر وُضِعَ في موضع الحال والتقدير عندهم: لا تهلك أَسِيًّا أي حزينا" (ص ٢٥).

وأشار ابن الأنباري إلى استخدام الشاعر «أفعل» بمعنى المصدر، كقوله في شرح بيت زهير:

فَتَنْتِجَ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلَّهُمْ كَأَحْمَرَ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَنْقَطِعُ

"معناه: تنتج لكم غلمان شؤم وأشأم هو الشؤم بعينه، يقال: كانت لهم بأشأم يريد بشؤم، فلما جعل مصدراً لم يُحتج إلى «من» ولو كان أفعال لم يكن له بدٌّ من «من»" (ص ٢٦٩).

يبين ابن الأنباري أيضاً دلالات اسم الفاعل في المواضع التي ورد فيها، منها صيغة «مُظفل» في قول امرئ القيس:

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنَ أَسِيلٍ وَتَنْقِي بِنَاظِرَةٍ مِن وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مُظْفَلٍ

"ومُظفل: ذات طفل وهو الغزال [...] وقال ابن حبيب مُظفل: معها طفل" (ص ٥٩).

أو توضيحه في صيغة فاعل في البيت السادس لامرئ القيس:

وَإِنَّ شُرَفَائِي عَابِرَةٌ مَهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسَمِ دَارِسٍ مِنْ مَعْوَلٍ

"وصف الشاعر أثر الديار بأنه دارس؛ فكأنه تعارض مع قوله قبل: فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها إذ كيف خبر أن الرسم لم يدرس وقال في هذا البيت «عند رسم دارس»؟ [...] في هذا غير قول: قال الأصمعي: قد درس بعضه وبقي بعضه ولم يذهب إلى كله كما تقول قد درس كتابك [...] وقال أبو عبيدة: رجع فأكذب نفسه [...] وقال آخرون معناه لم يدرس رسمه من قلبي وهو في نفسه دارس [...] وقال آخرون: معنى «فهل عند رسم دارس» الاستقبال كأنه قال: فهل عند رسم سيدرس بمرور الدهر عليه وهو الساعة باقٍ، كما تقول: زيد قائم غداً، معناه: زيد يقوم غداً" (ص ٢٦).

وقد يأتي اسم الفاعل واسم المفعول بمعنى، كما هو في البيت ٤٨ لعنترة:

وَمُدَجِّجٌ كَرِهَ الْكُمَاةَ نَزَالَهُ لَا مُمِعِينَ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمِينَ

"المدجج والمدجج: الذي قد توارى بالسلاح، بكسر الجيم وفتحها، وقد جاءت أحرف في لفظ الفاعل والمفعول هذا أحدها" (ص ٣٤٥).

إليك بعض النماذج من شرح النحاس:

- «فعليل» بمعنى «مفعول»، في لفظة «السقي» في البيت ٣٦ لامرئ القيس:

وَكَشْحٌ لَطِيفٌ كَأَجْدِيلٍ مُخَصَّرٍ وَسَاقٍ كَأَنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمُدَّلِّ

إذ قال: "السقي: النخل المسقي، كما تقول: مررت برجل قتيل أي مقتول" (ج ١، ص ٢٥).

- «فاعل» بمعنى «مفعول»، في لفظة «لاحب» في البيت الثاني عشر لطرفة:

أَمْوُونٍ كَأَلْوَاكِ الْأَرَانِ نَصَّأَتْهَا عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهَرَ بُرْجُودٌ

إذ قال: "وأما قوله: «على لاحب» في قول أهل اللغة هو الذي قد أثر فيه فيقول القائل: كان يجب على هذا أن يقول: ملحوب، فالجواب على هذا

أنه يجوز أن يكون بمنزلة قوله **كَلِكٌ**: «من ماء دافق» (الطارق ٨٦: ٦) (ج ١، ص ٦٠).

وهذا من المجاز ولكن النحاس لم يشر إلى كونه من المجاز.

- دلالة المصدر على الكثرة؛ كـ «تشرابي» بفتح التاء وهو المصدر ولكنه إذا كان بكسر التاء يكون اسم مصدر في البيت ٥١

لطرفة:

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الْخُمُورَ وَكَدْتِي وَيَعِي وَإِنْفَاقِي طَرِيفِي وَمُتَلَدِي

إذ معناه شربي، "إلا أن تشراباً للكثير، و«شرب» يقع للقليل والكثير" (ج ١، ص ٧٩).

- «فعل» بمعنى «مفعول»، في لفظة «زبور» في البيت الثامن للبيد ومعناه مزبور أي مكتوب (ج ١، ص ١٣٤).

- دلالة صيغ المبالغة على التكرير كـ «لوأم» في البيت ٥٤ للبيد (ج ١، ص ١٦٠)، و«جشّام» في البيت ٧٨ للبيد (ج ١، ص ١٧٤)، و«التوي» في البيت العاشر للحارث (ج ٢، ص ٥٦)، و«شول» في الرواية الأخرى للبيت ٢٥ للأعشى وهو بمعنى كلمة «شول» إلا أنه للتكرير (ج ٢، ص ١٣٩).

- دلالة المصدر على اسم الفاعل في لفظة «رب» في البيت ٣٨ للحارث:

وَهُوَ الرَّبُّ وَالشَّهيدُ عَلَى يَوْمِ الْحَيَارِينِ وَالْبَلَاءُ بِبَلَاءِ

إذ الأصل فيها أنها "مصدر وجعل في موضع اسم الفاعل، كما يقال: رجل عدلٌ ورضي" (ج ٢، ص ٧٠).

٢-٥. القلب المكاني

القلب المكاني مظهر من مظاهر التخفيف فالعرب يلجئون إلى تقديم حرف على آخر وتأخير حرف عن آخر ليخف اللفظ (النشترتي، ١٩٨٦م، ص ٦٢)، وأشار النحاس إلى ذلك في شرحه البيت ٤٤ للأعشى:

أبْلِغْ يَزِيدَ بَنِي شَيْبَانَ مَأْلَكَةً أَبَا ثَيْبَتٍ أَمَا تَنْفَكُ تَأْتِكِلُ

"المألكة: الرسالة وملكٌ عند بعض أهل اللغة من هذا لأن الأصل مَلَاكٌ والدليل على هذا أنه يقال في الجمع ملائكة، إلا أن هذا عند أهل النظر لا يجوز إلا على القلب، لأن مألكة الهمزة فيها فاء الفعل، والملاك الهمزة فيه عين الفعل وأجود من هذا أن يكون مَلَاكٌ من قولهم: مَلَاكَةٌ، لأنه قد حُكي مَلَاكَةٌ بمعنى مألكة" (ج ٢، ص ١٤٨).

٢-٦. الإبدال

الإبدال لغة: مصدر أبدل والبدل هو العوض (ابن منظور، «عوض»)، والأصل في الإبدال هو جعل الشيء مكان غيره مثل إبدالهم من الواو تاء فيقولون تالله في: والله (إبراهيم وآخرون، «عوض»). أما الإبدال في الاصطلاح فهو: «أن تقيم حرفاً مقام حرف إما ضروره وإما صنعة وإما استحساناً» (ابن يعيش، دت، ج ١٠، ص ٧). وقد كان من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض حيث كانوا يقولون: مدحه ومدهه وهذا فرس رفل ورفن (ابن فارس، دت، ص ٣٣٣). وقيل في تعريفه: «جعل مطلق حرف مكان آخر فخرج بالإطلاق الإعلال بالقلب لاختصاصه بحروف العلة» (١٤١٥ق، ص ١٤٩).

ومن نماذج الإبدال قول ابن الأنباري في شرح البيت ٩١ لطرفة:

وَقَالَ ذَرُوهُ إِثْمًا نَفَعَهَا لَهُ وَإِلَّا تَرُدُّوْا قَاصِيَّ الْبَرْكِ يَزْدَدُ

قال ابن الأنباري: "وزن يزدد يفتعل أصله يزئيد، فأبدلوا من التاء دالاً لأنها أشبه بالزاي وأسكنوا الدال الثانية للجزم وجعلوا الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم أسقطوها لسكونها وسكون الدال الثانية وكسرت الدال الثانية للقفية" (ص ٢٢١).

فمنشأ هذه المماثلة الصوتية جهر الزاي وهمس التاء والدال أخت التاء في المخرج وأخت الزاي في الجهر، قربوا بعض الصوت من بعض فأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها بالزاي (ابن جني، ص ٧٢)، وفسر محمود فهمي حجازي هذه الظاهرة فقال: "فالسمة الحاسمة هنا أن الزاي صوت مجهور؛ أي أن الوترين الصوتيين يهتان بشدة عند النطق به، أمّا التاء التي كنا نتوقعها في وزن «افتعل» من المادة «زهر» ليكون الفعل «ازتهر» فهي صوت مهموس أي: لا يتوتر الوتران الصوتيان عند نطقهما وما حدث يتخلص في أن توتر الوترين

الصوتيين في نطق الزاي استمر بعد المدة الوجيزة جداً التي ينطق فيها صوت الزاي [...] لقد استمر توتر الوترين الصوتيين عند النطق بما كان يظن أنه سيخرج تاء وهنا نطقت الدال، وهذا يعني (ز + ت) = (ز + د) أي: (مجهور + مهموس) = (مجهور + مجهور)" (ص ٥١).
ومن ذلك أيضاً قول ابن الأنباري في شرح البيت الـ ٥٣ لعمرو بن كلثوم إبدال الواو تاءً في كلمة «التراث» وأصله الوُراث لأنه فُعَال من ورثت فأبدلوا من الواو تاءً لقربها منها في المخرج (ص ٤٠٦).
وقال في شرح البيت الـ ٥٨ لزهير:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ إِمْرِيٍّ مِنْ خَلِيقَتِي وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ

"قوله «مههما» معناه وما تكن عند امرئ فأرادوا أن يصلوا «ما» بما التي يوصل بها حروف الجزء كقولك «إمّا» و«متى ما» فثقل عليهم أن يقولوا ماما؛ لاستواء اللفظين فأبدلوا من الألف الأولى هاءً ووصلوها بالثانية فقالوا: مههما" (ص ٢٨٩).
وقال في شرح البيت الـ ٣٧ لامرئ القيس مشيراً إلى لفظة «نؤوم» بأنها تُهمز ولا تُهمز: "فمن لم يهمزه قال: هو فعول من النوم، ومن همزه قال: الواو انضمت صلح همزها، كقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتَتْ﴾ (المسلمات ٧٧: ١١) همزت الواو لما انضمت، كقول العرب: هذه أجوة حسانٌ للوجه" (ص ٦٦).

وأشار النحاس إلى الحروف التي بدلت من الحروف الأخرى أو الحركات من الأخرى، كالأمثلة التالية:

- الياء بدل من الباء في لفظة «ذبيان»، لأن الأصل ذُبان (ج ١، ص ١١١).

- الألف بدل من الهمزة في لفظة «يُبد» واضطرّ الشاعر أن يبدل من الهمزة ألفاً ثم حذف الألف للجزم وهذا من أقبح الضرورات (ج ١، ص ١١٩).

- الهاء بدل من الألف في لفظة «مههما»؛ إذ الأصل في مههما «ماما»، ف «ما» الأولى للشرط و«ما» الثانية للتوكيد واستقبحوا أن يجمعوا بينهما ولفظهما واحد، فأبدلوا من الألف هاءً (ج ١، ص ١٢٥).

- الياء بدل من الهمزة، والألف بدل من الياء في لفظة «خطايا»، قال أبو إسحاق: الأصل خطايي ثم همزت الأولى كما تُهمز ياء مدائن فصارت خطايي، ولا يجوز أن يجمع بين همزتين، وأبدل من الثانية ياءً فصارت خطايي، ثم أبدل من الثانية ألفاً، كما يقال: صحارى فصارت خطاءى فكروها أن يجمعوا بين ألفين بينهما همزة لأنه بمنزلة الجمع بين ثلاث ألفات فأبدل من الهمزة ياءً فصارت خطايا" (ج ١، ص ١٤٤).

- الألف بدل من إحدى الياءين في لفظة «يمانية» والأصل فيها يمانية (ج ٢، ص ٢٠).

- التاء بدل من الواو في لفظة «أتقاه»، إذ الأصل اوتقاه، ثم أبدل من الواو تاءً لأن العرب قد يبدلون من الواو تاءً (ج ٢، ص ٢٢)، وفي لفظة «التراث» في البيت الـ ٥٤ لعمرو أيضاً لأن التاء أقرب الزوائد إلى الواو (ج ٢، ص ١١١). وكذلك في لفظة «التلاد»، لأن الأصل فيها ما ولد عندهم (ج ١، ص ١١٠).

- الفتحة بدل من الكسرة في لفظة «تغلبى» إذ أبدل من الكسرة فتحةً لثلا يجمع بين كسرتين وياء مشددة (ج ٢، ص ٧٧).

- الهمزة بدل من الواو في لفظة «أسوق» (ج ٢، ص ١٠٣).

- الكسرة بدل من الضمة في لفظة «شيب»، إذ يجب أن يضم الشين ولكن أبدلت من الضمة الكسرة لمجاورتها الياء (ج ٢، ص ١٠٦)، وكذلك في لفظة «قلون» أبدل من الضمة كسرةً (قلين) ليدل على أنه جمع على غير بابه، لأن الواو والنون إنما يكونان لمن يعقل وكذلك سنّة وسنون أبدل من الفتحة كسرةً لهذا (ج ٢، ص ١٢٤)، وكذلك قوله في شرح البيت الثالث لزهير:

بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِيْنَ خَلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْمَعٍ

إذ أشار إلى أن حرفاً تأخذ الحركة التي تناسبه بسبب مجاورتها الحرف الآخر، كما أنّ العين في كلمة «العين» كُسرَت لمجاورتها الياء، لأن الأصل فيها أن تُجمع على «فُعَل»، كما نقول في جمع أحمر حمراء حُمَر (ج ١، ص ١٠٠). ويبدو أن هذا القول لأبي العباس، وقال في شرح البيت التاسع للبيد مشيراً إلى قول غير أبي العباس: "وقال غيره: كان يجب أن يكون بالواو لأنه على فُعَل إلا أنهم كَرِهوا أن يكون بالواو وفي الواحد بالياء فأبدلوا من الواو ياءً وكُسِرَ ما قبل الياء" (ج ١، ص ١٣٣).

- الفتحة بدل من الضمة في لفظه «جُدَد» جمع جَدِيد وهذا الإبدال لحنفة الفتحة (ج ٢، ص ١٧١).

- الهاء بدل من الهمزة في لفظه «هُرِيقَ»، والأصل فيها «أرِيقَ» (ج ٢، ص ١٧١).

٢-٧. الإدغام

يعني الإدغام الإدخال من الناحية المعجمية واللغوية أما في اصطلاح العلماء فهو «الإتيان بحرفين ساكن فمتحرك من مخرج واحد بلا فصل بينهما بحيث يرتفع اللسان وينحط بهما دفعة واحدة» (الحملوي، ١٤١٥ق، ص ١٧٠)، ويفسر السيوطي ذلك فيقول: «رفعك اللسان بالحرفين دفعة واحدة ووصفك إياه بهما وصفاً واحداً» (١٩٩٨م، ج ٣، ص ٤٤٢).

وذلك كقول ابن الأنباري في شرح البيت ١٢ لامرئ القيس:

فَطَلَّ الْعَذَارَى يَرْتَمِينَ يَلْحَمَهَا وَتَحَمَّ كَهْدَابِ الدَّمَقْسِ الْمُفْتَلِّ

قال ابن الأنباري: "العرب تقول ظَلَّ فلانٌ يفعل كذا إذا فعله نهراً وبات يفعل كذا وكذا إذا فعله ليلاً وظلَّ من الفعل «فعل» وَيَظَلُّ «يَفْعَلُ» كان الأصل فيهما ظَلَّلَ يَظَلِّلُ؛ فكرهت العرب أن يجمع بين حرفين متحركين من جنس واحد، فأسقطوا حركة الحرف الأول وأدغموه في الثاني كما قالوا: «صَمَّ يَصُمُّ» والأصل فيه «صَمَمَ يَصْمَمُ» فأسقطوا حركة الميم الأولى وأدغموها في الثانية لما ذكرنا" (ص ٣٥).

وأشار ابن الأنباري إلى التقاء الساكنين في شرحه البيت ٢١ لامرئ القيس:

وَأَنَّ تَكُ قَدْ سَاءَ تَكُ مِنِّي خَلِيقَةٌ فَسُئِلِي ثِيَابِي مِن ثِيَابِكِ تَنْسُلِي

"قوله «إن تك» موضع تك جزمٌ بأن، علامة الجزم فيه سكون النون والواو من تكون سقطت لاجتماع الساكنين، والساكنان الواو والنون، والنون حذفت لكثرة الاستعمال وشبهتها العرب بالواو والياء فأسقطوها كما يسقطونها، فإذا تحركت النون لم يَجُزْ سقوطها، تقول: لم يك زيدٌ قائماً ولم يك عمرو جالساً فتسقط النون لما ذكرنا، فإذا قلت: لم يكن الرجل قائماً لم يَجُزْ سقوط النون لتحركها" (ص ٤٦).

ومما يلفت انتباهنا في مثل هذه التوضيحات من قبل الشارح أن منهجه يقوم على الإشارة إلى القاعدة العامة التي تحكم المسألة موضع الدراسة ثم شرع بالتفصيل والشرح.

ويكون التخلص من التقاء الساكنين إما بفتح الثاني نحو «عليّ» في قول امرئ القيس:

وُقُوفاً يَهَا صَاحِبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِي

إذ قال الشارح: "فعليّ صلة وقوف والياء فتحت لاجتماع الساكنين" (ص ٢٤).

وإما يكون التخلص من التقاءهما بسقوط الأول نحو «يُدُّ» في قول زهير:

وَمَنْ لَا يَدُّ عَن حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يَهْدُمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ

قال ابن الأنباري: "وموضع يدُّ جزمٌ بمن وعلامة الجزم فيه سكون الدال والواو سقطت لاجتماع الساكنين" (ص ٢٨٦).

وإما يكون التخلص من اجتماعهما بكسر الأول نحو «يجعل» في قول زهير:

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ يَفْرَهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِي الشَّتْمَ يُشْتَمُّ

"ويجعل مجزوم بمن واللام كسرت لاجتماع الساكنين" (ص ٢٨٧).

وأشار ابن الأنباري إلى ما التقت الحرفان من جنس واحد فحذفت إحداهما كما أشار في شرح البيت السابع لطرفة:

خَذُولٌ ثُرَاعِي رَبْرَبًا يَحْمِيلَةٌ تَنَاولُ أَطْرَافَ الْبَرِيرِ وَتَرْتَدِي

"وقوله «تناول أطراف البرير» أصله تتناول، لأنه فعل للمؤنث مستقبل، قال الله عز وجل: ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ (القدر ٩٧: ٤)، تنزل الملائكة والروح، فمعناه تنزل الملائكة فاستثقل الجمع بين تاءين فحذفت إحداهما. قال الفراء: يجوز أن يحذف الأولى ويجوز أن يحذف الثانية، لأن حركتهما مثقفة، وقال هشام: المحذوفة هي الأولى، وقال البصريون: المحذوفة هي الثانية لأن الأولى علم استقبال، وعلم الاستقبال لا يسقط" (ص ١٤٣).

وذلك كقول النحاس في شرح البيت ٣٨ لمعلقة عمرو، مقارناً بين رأي الفراء إمام الكوفيين ورأي البصريين:

إِذَا مَا عَيَّ بِالْأَسْنَانِ حَيٌّ مِنْ الْهَوْلِ الْمَشْبُوبِ أَنْ يَكُونَ

"عَيٌّ: توقف وتخيّر، والأصل فيه عَيَّيَ ثم أدغم. قال الفراء: وكان يجب ألا يدغم إلا أنه لما اجتمع حرفان من جنس واحد متحركان أدغم أحدهما في الآخر كما قرئ ويحیی من حي عن بيئته، فإذا ثنيت على الإدغام قلت: عَيَّا وعلى الإظهار قلت: عَيَّيا وإذا جمعت على الإدغام قلت: عَيَّوا، وهذا عند الفراء قببح - أعني الإدغام في الجمع - وإنما قبَّح عنده، لأنه يجب أن تُسكن الياء في الجمع والواو بعدها ساكنة فيجب الحذف وهو عند البصريين جيّدٌ حسنٌ، لأنه يُبنى على الواحد فيقال في الواحد عَيٌّ ثم تزداد أو الجمع" (ج ٢، ص ١٠٥).

٢-٨. الإعلال

هو الركن الثاني الأساسي من أركان الصرف بجانب الإبدال وله تعريفات مختلفة في الكتب الصرفية والنحوية منها أنه هو «تغيير حرف العلة للتخفيف بقلبه أو إسكانه أو حذفه» (الحملوي، ١٤١٥ ق، ص ٣٢).

نلاحظ في الشرحين اللذين نحن بصدد دراستهما أن ابن الأنباري أشار إلى هذه الظاهرة في شرح البيت الخامس لامرئ القيس:

وَقُوفًا يَهَا صَاحِبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَىٰ وَتَجْمَلُ

"ووزن مطيئة من الفعل فعيلة، أصلها مطيوة، فلما اجتمعت الياء والواو والسابق ساكن جعلت ياء مشدودة ويقال في جمع المطية مطيات ومطي ومطايا" (ص ٢٥).

وقال في شرح البيت السادس للشاعر نفسه:

وَإِنَّ شُرَفَائِي عَابِرَةٌ مَهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مَعْوَلٍ

ومعنى قوله مهراقة: مصبوبة، يقال أرقت الماء فأنا أريقه إراقة، وهرقت الماء أهريقه، ومن العرب من يقول: أهرقت الماء، فيزيد ألفاً قبل الهاء، ووزن أرقت: أفعلت، أصله أريقت، فألقت فتحة الياء على الراء وصارت الياء ألفاً لانفتاح ما قبلها وسقطت الألف لسكونها وسكون القاف، ومن قال هرقت الماء قال: قدّرت العرب أن الهمزة فاء من الفعل فأبدلوا منها هاءً كما قالوا إبرية وهبرية، للذي يسقط من الرأس من الوسخ، وكما قالوا في الإغراء: إياك إياك، وهياك هياك. والذين قالوا أهرقت الماء قدّروا أن الهاء فاء من الفعل فزادوا عليها الألف ووزن مهراقة من الفعل مفعلة أصلها مريقة فألقوا فتحة الياء على الراء فصارت الياء ألفاً لانفتاح ما قبلها وزادوا قبل الراء الهاء التي في هرقت الماء (ص ٢٦).

وكان ابن الأنباري قد ذهب إلى أن الحرف الصحيح أولى بتحمّل الحركة من الحرف المعتلّ إذ قال: "ووزن أرتت: أفعلت، أصله أريقتُ، فألقيت فتحة الياء على الراء وصارت الياء ألفاً لانفتاح ما قبلها وسقطت الألف لسكونها وسكون القاف" (ص ٢٦).
وقال في شرح البيت الـ ٥٥ لزهير:

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ يَفْرَهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِي الشُّتْمَ يُشْتَمُّ

"يفره جواب الجزاء علامة الجزم فيه سكون الراء، وكان الأصل فيه يوفّره، فحذفت الواو لوقوعها بين الكسرة والياء، كما حذفت من يزن ويلد، وقال الكسائي: حذفت الواو فرقاً بين الواقع وغير الواقع: فالواقع قولك يزن الأموال ويلد الأولاد، وغير الواقع وَجَلَّ يُوَجِّلُ وَوَجَلَّ يُوَجِّلُ" (ص ٢٨٧).
وهذا سبب آخر تحذف له الواو وهو أن تقع بين الكسرة والياء المفتوحة؛ فالكسرة تناسب الياء وصوت الواو غريب بينهما من الناحية الصوتية، فتحذف الواو في مثل: يَفْرُ مِنْ يُوَفِّرُ وَيَصِلُ مِنْ يُوَصِّلُ.

وقال في شرح البيت الـ ٨٣ لعمرى في لفظة «ميسم»: "أصله موّسم، فلما سكنت الواو وانكسر ما قبلها صارت ياءً كما قالت العرب ميثاق وأصله موثاق، لأنه مفعّل من الوثائق؛ الدليل على هذا أنهم يقولون في جمعه موثيق" (ص ٤٢١).

٢-٩- تخفيف اللفظ

ونقصده منه ترك الثقل في النطق ويلاحظ أن ابن الأنباري أشار إلى التخفيف في مواضع مختلفة ورد في شعر المعلقات. وللتخفيف أنواع مختلفة؛ منه تخفيف الحركات في الكلمات المختلفة ومنه تخفيف الحرف أي حذفها.
أما تخفيف الحركة فقد يتحقق التخفيف في كلمة ما بتخفيف حركة الضمة كما قال ابن الأنباري في شرح البيت السبعين لعمرى بن كلثوم:

كَأَنَّ مُتَوْنَهُنَّ مُتَوْنُ غُدْرٍ تُصَفِّقُهَا الرِّيحُ إِذَا جَرَيْنَا

"وتصفّقها الرياح صلة غُدْرٍ، وأصله غُدْرٌ فسكنت الدال تخفيفاً وهو كقولهم: كتاب، وكُتِبَ وكُتِبَ" (ص ٤١٦). وأما الثاني أي تخفيف الحرف فقال في شرح البيت الـ ٧٤ لعمرى بن كلثوم:

بَأْتَا الْعَاصِمُونَ بِكَلِّ كَحَلِّ وَأَتْنَا الْبَاذِلُونَ لِمَجْتَدِينَا

"فالأصل في «أتا» «أتنا»، فحذفت النون تخفيفاً وقال الفراء: أتا أجود من أتنا وكلاهما جائز" (ص ٤١٨). أو قال في شرح البيت الخامس لزهير:

أَثَافِي سُفْعاً فِي مَعْرَسِ مَرَجَلٍ وَتُؤَيَّا كَجِذْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَنَلَّمْ

"يقال: أثافي وأثافٍ وأثافٍ بالثقل والتخفيف، واحدها أثفية مشددة وقال هشام: إذا كانت الواحدة مشددة ففي الجمع التثنية والتخفيف، كقولك: أمنيّة وأمانيّ، وأمان [...] وأثفية وأثافي وأثافٍ، وأواري وأوارٍ في جمع أري" (ص ٢٤١).

وهنا نلاحظ أن الشارح في شرح المسألة اهتم بالقياس وهو «الجمع بين أول وثان يقتضيه في صحة الأول صحة الثاني وفي فساد الثاني فساد الأول» (الرماني، ١٩٨٤م، ص ٦٦).

وقال في شرح البيت الـ ٤٦ لعمرى:

تَهْدِدُنَا وَأَوْعِدُنَا رُوَيْدًا مَتَّى كُنَّا لِأُمَّكَ مَقْتُونَا

"القتو: الخدمة خدمة الملوك خاصة والتذلل لهم - ثم إن الشاعر اضطرَّ إلى تخفيف الياء فقال مَقْتَوِين يريد مَقْتَوِيَيْن، فإذا قالوا للواحد رجل مقتويّ رجعوا إلى التشديد ففي هذا دلالة على أنّ الشاعر اضطرَّ ووجد التخفيف في الكلام يأتي كثيراً في المشدّد، مثل نَيْةٍ ونَيْيةٍ، وطِيئةٍ وطِيئةٍ، وأشباه ذلك" (ص ٤٠٤).

في الأمثلة المذكورة تحقق التخفيف بحذف حرف كما وضّح ابن الأنباري، ويمكن أن يكون التخفيف بتسهيل الهمز أيضاً كما كان في البيت الـ ٢٣ للحارث:

فَبَقِينَا عَلَي الشُّنَاءَةِ تَنْمِيَةً _____ نَنَا حُصُونًا وَعِزَّةً قَعْسَاءَ

وقال ابن الأنباري: "ويروى «ثنيبها حصون» ، أي ترفعها؛ أخذ من التبوّة والنبوة وهي المكان المرتفع [...] وقال أبو عبيدة: العرب تترك همز ثلاثة أحرف أصلها الهمز وهي النبي من أنبأ عن الله ﷻ والخابية وهي مأخوذة من خبات، والذرية وهي من ذرأ الله تعالى الخلق وبعض العرب يهمز «النبي» ويخرجه على أصله" (٤٥٨).

إليك بعض النماذج من شرح النحاس لتخفيف الألفاظ:

قال النحاس في شرح البيت الـ ٦١ لامرئ القيس مشيراً إلى التخفيف بتسكين حرف ثم حذفها:

ضَالِّعٍ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدًّا فَرَجُهُ _____ يَضَافُ فَوْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعَزَّلِ

"وقوله بضاف أي بذنب ضاف وهو التام وأقام الصفة مقام الموصوف والأصل بضافي، كما تقول: سابغ، إلا أن الياء حذفت لسكونها وسكون التنوين، لأن الياء تسكن في موضع الرفع والخفض إذا كان ما قبلها مكسوراً وقول النحويين في هذا أنها أسكنت استثقلاً منهم للحركة فيها" (ج ١، ص ٣٨). والأمر كذلك في لفظة «ثاو» في البيت الأول للحارث والأصل فيها «ثاوي» واستثقل العرب الحركة في الياء فسكنت والتنوين بعدها ساكن فحذفت لالتقاء الساكنين (ج ٢، ص ٥١).

وأيضاً في لفظة «بغلون» في البيت السادس عشر للحارث قال إنها إما أن تكون من «غلا يغلون» وإما أن تكون من «غلى يغلي» قد حذفت الواو أو الياء لالتقاء الساكنين (ج ٢، ص ٦٠).

يكون التخفيف حيناً بحذف الحرف لالتقاء الساكنين، كما أشار النحاس إليه في شرح البيت الثالث عشر لزهير:

بَكْرَنَ بُكُوراً وَاسْتَحْرَنَ بِسُحْرَةٍ _____ فَهَنْ لَوَادِي الرِّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ

"الرِّسِّ: البئر، وجمعه رِساس وحذف الياء من قوله لوادي الرِّسِّ في اللفظ لالتقاء الساكنين ولا تُحذف في الخط لأن الخط يُكتب على الانفصال وإذا قلت: هذا واد، حذفت الياء في اللفظ والخط لأن التنوين لا ينفصل" (ج ١، ص ١٠٥).

ويكون تخفيف الحركة في الكلمات حيناً آخر للضرورة الشعرية وللإضطرار كلفظة «التعدّي» في البيت الأربعين للحارث؛ إذ كان يجب أن تحرك الياء لأنها في موضع النصب إلا أنه لما اضطرَّ سَكَّن الياء (ج ٢، ص ٧١)، أو في البيت الـ ٨٩ لعمرؤ قال الشاعر «المَلِك» وأراد «المَلِك» وحذف الكسرة لثقلها (ج ٢، ص ١٢٤).

وكذلك وقع التخفيف بحذف الحرف لالتقاء الساكنين وأشار إليها النحاس في شرحه، ومنها في كلمة «بالمشوف» إذ الأصل فيها «المشوف» ثم أُلقيت حركة الواو على الشين فبقيت الواو ساكنة وبعدها واوٌ فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين (ج ٢، ص ٢٦)، وإن كان هناك خلاف بين سيبويه والأخفش في المحذوفة إذ عند سيبويه أن الثانية هي المحذوفة وعند الأخفش الأولى هي المحذوفة (المصدر نفسه).

أو يكون حذف الحرف للتخفيف في الفعل المضارع معتل الفاء، كقوله في لفظة «يَفْرَهُ»: "الأصل في قوله يَفْرَهُ يَوْفِرُهُ، فحذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة، ثم أتبع بعض الفعل بعضاً" (ج ١، ص ١٢٤).

وربما يكون التخفيف بحذف إحدى التائين من أول الفعل، كفعل «تَفْرَى» إذ الأصل فيه «تَفْرَى» (ج ١، ص ١١٦)، أو قول الشاعر «تَأَجَّل» في البيت السابع للبيد، والأصل «تَأَجَّل» (ج ١، ص ١٣٤)، أو «تَعْرَضُ» في البيت التاسع للبيد في قول من رواه بضمّ الضاد إذ أراد «تَعْرَضُ» (ج ١، ص ١٣٥)، أو «تَذَكَّرُ» في البيت السادس عشر للبيد والأصل فيه «تَذَكَّرُ» (ج ١، ص ١٣٨)، أو «تَبَلَّدُ» في البيت ٤٥ للبيد والأصل فيه «تَبَلَّدُ» (ج ١، ص ١٥٤)، أو «تعاوره» في البيت ٤٩ لعنترة والأصل فيه «تعاوره» (ج ٢، ص ٣١)، أو «تَأْتَى» في البيت الثامن للأعشى والأصل «تَأْتَى» (ج ٢، ص ١٣٢)، أو يكون التخفيف بحذف النون في مثل «الشاتي عرضي» وقال إنه يقع هذا كثيراً: "والنون تُحذف في مثل هذا كثيراً للتخفيف، تقول: جاءني الضاربا زَيْبُر والمعنى: الضاربان زيدياً، وإنما جاز أن تجمع بين الألف واللام والإضافة، لأن المعنى الضاربان زيدياً" (ج ٢، ص ٤٧).

أشار في البيت الخامس لزهير «أثافي سفعا» إلى روايتها بتخفيف أثافٍ، وقال ناقلاً عن أبي إسحاق وغيره من العلماء: "التخفيف أكثر في كلام العرب في أثافٍ وإن كان الأصل التثقيب لكثرة استعمالهم إيّاها. قال ذو الرمة:

وهل يَرْجِعُ التَّسْلِيمُ أو تَكشِفَ العَمَى ثلاثُ الأثافي والرَّسومُ البلاقِعُ

قال أبو جعفر سمعتُ محمد بن الوليد يقول ما رأيتهُ أحداً يروي أثافي سفعا إلا بالتخفيف ثم سمعتُ أبا الحسن علي بن سليمان يُنكر هذا ويقول الوجه التثقيب لأنه الأصل والوزن فيه مستقيم" (ج ١، ص ١٠١).

لم يُبدِ النحاس رأيه في هذا الأمر، وإنما أشار إلى آراء هؤلاء العلماء.

ذكر النحاس أيضاً اللغات المختلفة للفظة واحدة وأن العرب اختار اللغة التي فيها التخفيف، كلفظة «العمر» و«العمر» إذ قال سيبويه أن كليهما واحد إلا أن العرب لا يستعملون في القسم إلا الفتح، لأنهم مالوا إلى التخفيف لكثرة القسم في كلامهم (ج ١، ص ١١٦).

٣. الظواهر الصوتية في شروح المعلقات

من أهم الظواهر الصوتية المشار إليها في شرح ابن الأنباري والنحاس هي الإشارة إلى إطالة الحركات وبيان ما في اللفظة من المد والقصر وكيفية كتابتها وإليك بعض النماذج منهما في كلا الشرحين:

٣-١. الإشارة إلى إطالة الحركات

إذ نلاحظ أن ابن الأنباري نَبّه على صلة الحركات القصار: الكسرة والضمة والفتحة بأخواتها الطوال: الياء والواو والألف، وجعل استواء وزن البيت الشعري وراء الحاجة إلى الحركات القصيرة وتحويلها إلى الحركات الطويلة، فقال في شرح البيت الـ ٤٦ لمعلقة امرئ القيس:

ألا أيُّها اللَيْلُ الطَّوِيلُ ألا أنجَلِي بَصُوحٍ وَمَا الإصباحُ فيكَ يأمثل

"وموضع انجلى جزم على الأمر، علامة الجزم فيه سكون اللام في الأصل، ثم احتاج إلى حركتها بصلة لها ليستوي له وزن البيت فكسرهما ووصل الكسرة بالياء، قال الفراء: العرب تصل الفتحة بالألف، والكسرة بالياء، والضمة بالواو" (ص ٧٨) و ذكر شواهد قرآنية وشعرية لكل من هذه

الحركات قائلاً: «ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿سَنْقُرُوكَ فَلَا تَنْسَى﴾ (الأعلى ٨٧:٦)، موضع تنسى جزم بلا على النهي والألف صلة لفتحة السين» (ابن الأنباري، ١٩٦٩م، ص ٧٨).

ويجدر بنا الانتباه إلى آراء المفسرين في هذا المجال إذ هم على فريقين: ذهب بعضهم إلى قبول هذا التبرير (مراعاة موسيقى الكلام في فواصل الآيات) (الزمخشري، ج ٤، ص ٧٤٠؛ الفخر الرازي، ١٤٢١ق، ج ٣١، ص ١٢٨)، كما اعتقد الفريق الثاني كأبي حيان أن «لا» في قوله تعالى «لا تنسى» نافية ووجهها الضعف إلى الرأي الأول (١٤٢٢ق، ج ٨، ص ٤٥٣).

ويليق بنا هنا أن نضيف النكتتين الهامتين: الأولى أن معلقة امرئ القيس هي لامية ولا يوجد في العربية ما نجده في الفارسية باسم تجديد المطلق وإذا كان كذلك لا بد أن تكتب تلك الكلمة «انجل» وتقرأ «انجلي».

الثانية أن اعتبار «لا» في الآية الكريمة نافية أولى إذ يدلنا ظاهر الآيات أن الله تعالى أراد أن يقول لنبيه ﷺ أنه «لن ينسى» لا أن ينهيه من النسيان. ولنا دليل آخر في إثبات ما ذهبنا إليه وهو الآيات الكريمة: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (القيامة ٧٥: ١٦ و ١٧)، ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا وَتَقَدَّ عَهْدُنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ﴾ (طه ٢٠: ١١٤ و ١١٥). ويؤكد ما قلنا قول ابن الشجري: «فأما إثباتها في قوله تعالى فلأنه نفي لا نهي أي فلست تنسى إذا أقرأناك أعلمه الله أنه سيجعل له آية تبين بها الفضيلة له وذلك أن الملك كان ينزل عليه بالوحي فيقرؤه عليه ولا يكرره فلا يسنى شيئاً مما يوحى إليه وهو أمي لا يخط بيده كتاباً ولا يقرؤه» (الأمال، دت، ص ٧٨).

واستشهد الشارح أيضاً بشعر الشعراء مدعماً ما ذهب إليه بحجة الشعر كقول الشاعر:

إذا الجوزاء أدفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا

الألف في الظنون صلة لفتحة النون والموضع الذي وصلوا فيه الكسرة بالياء قول الشاعر:

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد

الياء صلة لكسرة التاء، والموضع الذي وصلوا فيه بالواو قول الشاعر:

هجوت زيان ثم جئت معتذراً من سب زيان لم تهجو ولم تدع

الواو صلة لضمة الجيم» (ابن الأنباري، ١٩٦٩م، ص ٧٨). وقال في شرح البيت ٦٦ لامرئ القيس:

فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَتَعْجَلِي دِرَاكَاً وَكَمْ يُنْضَحُ بِمَاءٍ فَيُغْسَلُ

"ويغسل منسوق على ينضح، واللام كسرت للقفائية وذلك أن المجزوم إذا احتيج إلى حركته كُسر والياء صلة لكسرة اللام" (ص ٩٦).

وقال في ذيل البيت ١٢ لعمر:

وَمَتَّنِي لَدَنِّي طَالَتْ وَلَا تَت رَوَادِفُهَا تَنُوهُ بِمَا يَلِينَا

"والألف في يلىنا صلة لفتحة النون" (ص ٣٨٢).

ومنه أيضاً قول عنتر:

يَنْبَغُ مِنْ ذَفْرَى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ زَيَافَةٍ وَشَلِّ الْفَيْقِ الْمَكْدَمِ

"قال أكثر أهل اللغة: ينباع معناه يَنْبَعُ على مثل يَفْعَلُ، من نَبَعَ الماء يَنْبَعُ فزاد الألف على الإتيان لفتح الباء، لأنهم ربما وصلوا الفتح بالألف والضممة بالواو والكسرة بالياء" (ص ٣٣٢).

هذا وقد تأتي أهمية أصوات المدّ في الشعر الجاهلي الذي كان يقوم على الإنشاد والمشافهة من حيث تميزها بقوة الإسماع وهذه الخاصة بعينها "هي التي لاحظ الدكتور طه حسين بحق أنها طابع الأدب العربي وسماها الطابع الإنشادي في الأدب" (حسان، ص ٧١).
والنحاس أيضاً أشار إلى إشباع الحركات في الشعر، كما قال في شرحه البيت الـ ٧٣ للبيد:

وَجَزْوِرٍ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ إِلَى التُّدَى بِمَعَالِقٍ مُتَشَابِهِ أَيْسَارِهَا

"والمعاليق: القداح التي يُضرب بها، الواحد مَعْلَقٌ ومَعْلَاقٌ، فمن قال: مَعْلَاقٌ فجمعه مَعَالِيقٌ، ومن قال: مَعْلَقٌ، فجمعه مَعَالِيقٌ، إلا أنه يجوز في الشعر أن تجمع مَعْلَقاً على مَعَالِيقٍ، على أن تشيع الكسرة فتصير ياءً، كما قيل: مساجيد في جمع مسجد ودراهيم في جمع درهم" (ج ١، ص ١٧١).
إذ يُلاحظ من المثال أنه نَبّه على صلة الحركة القصيرة: الكسرة بأختها الطويلة: الياء.

٣-٢. بيان ما في اللفظة من المدّ والقصر وكيفية كتابتها

وهي كثيرة في شرح ابن الأنباري ولعلّ مردّه إلى أنّه كان يُلمي شرحه وأشار إلى هذه المسائل ليسر الأمر لتلامذته الذين كانوا يكتبون ما كان يلميه عليهم، إليك نماذج منها:

- قال في لفظة «الهيوني» في البيت الـ ٨٦ لعمرو: "وسيله أن يُكتب بالياء لأنه يجرى مجرى متى" (ص ٤٢٤).
- قال في شرح البيت السادس للحرث: "ويقال: وهو من عُليا مَعَدَّ، بضم العين مع القصر، ومن عُليا مَعَدَّ بفتح العين مع المدّ" (ص ٤٣٧).
- قال في شرح البيت الـ ١٨ للحرث: "والولاء في العون ممدود، والوكلي في المطر يُكتب بالياء" (ص ٤٥١).
- قال في لفظة «الغرا»: "هو ولد البقر مقصور، يُكتب بالألف لأنه من الواو، يقال في تثنيته غَرَوَانٌ" (ص ٤٥٤).
- قال في لفظة «الملا»: "والملا: ما اتسع من الأرض واستوى، مقصور غير مهموز ويُكتب بالألف والياء والألف أجود" (ص ٤٦٥).
- قال في لفظة «الألقاء» في البيت الـ ٦١ للحرث: "والألقاء خبر كأنّ، وهو ممدود واحده مقصور يُكتب بالياء" (ص ٤٨٩).
- قال في لفظة «الحلّي» في البيت الـ ٣٢ لعمرو: "والحلّي: الحشيش مقصور يُكتب بالياء" (ص ٣٩٦).

الخاتمة

بعد السير في صحبة شروح المعلقات (شرح ابن الأنباري والنحاس نموذجين) والتأمل فيما اشتملا عليه من شرح الألفاظ ودراسة منهجهما في بيان القضايا الصوتية والصرفية تم الحصول على عدة نتائج منها:

- اهتم الشارحان بالقضايا الصرفية والصوتية انسياقاً من شرح الألفاظ الصعبة للمعلقات؛ إذ بيانها يُدرك المعنى ويتّضح.
- من أهم القضايا الصرفية المشار إليها في شرحيهما: الإعلال، الإبدال، التخفيف، الإدغام، والقلب.
- من أهم القضايا الصوتية المشار إليها في شرحيهما: إطالة الحركات، وبيان ما في اللفظة من المدّ والقصر وكيفية كتابتها.
- كل من الشارحين عالمان بمختلف العلوم ونهجاً منهجاً امتاز بطابع الشمولية والاتساع في المعرفة والعلوم وهذا يؤدي إلى صعوبة الفصل بين تلك العلوم، كالصرف والنحو والصوتيات، ولكن عندما ضمّا علم الأصوات إلى علم الصرف فلم يضمهما

وفق تخطيط مدروس بل أشارا إلى القضايا الصوتية والصرفية إذا حصل المجال وحبذا لو كان لهما منهج ثابت في بيان القضايا الصوتية والصرفية لتكون عندنا النقاط الهامة أكثر مما بقي لنا اليوم.

- امتاز كل من الشارحين بطول النفس واستقلالية الرأي في الموضوعات وإن كان هذا أكثر وضوحا وجلاء عند ابن الأنباري بالنسبة إلى النحاس وذلك من خلال بيان وشرح وافيين للموضوع وضمن الأمثلة المتنوعة والبراهين المؤكدة له.

- بما أنهما لم يشيرا إلى الاختلافات بين العلماء في قضايا صرفية وصوتية لم يكن شرحهما مرتعا خصبا لمعالجة تلك القضايا لمختلف المدارس وإن كانا ملاذا خصبا لذوي الاختصاص في العلوم العربية.



المصادر والمراجع

🕌 القرآن الكريم

١. إبراهيم مصطفى وآخرون. (١٩٦٠م). المعجم الوسيط. (قام على طبعه عبد السلام هارون). القاهرة: مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية.
٢. ابن الأنباري، محمد بن القاسم. (١٩٦٩م). شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات. (تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون). (ط٢). القاهرة: دار المعارف.
٣. ابن الشجري، هبة الله بن علي. (د.ت). الأمالي. (تحقيق ودراسة محمود محمد الطناجي). القاهرة: مكتبة الخانجي.
٤. ابن جنبي، أبو الفتح عثمان بن جنبي. (١٩٨٨م). الخصائص. (تحقيق محمد علي النجار). بيروت: المكتبة العلمية.
٥. ابن فارس، أبوالحسين أحمد بن فارس. (د.ت). الصحاحي. (تحقيق السيد أحمد صقر). القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٦. ابن يعيش النحوي، يعيش. (د.ت). شرح المفصل. بيروت: عالم الكتب.
٧. أبوحيان اندلسي، محمد بن يوسف. (١٤٢٢ق). البحر المحيط. (تحقيق عادل احمد عبدالموجود وعلي محمد معوض). (٨ ج). بيروت: دار الكتب العلمية.
٨. الحملاوي، أحمد. (١٤١٥ق). شذا العرف في فن الصرف. د.م: الاعتصام وأنوار الهدى.
٩. الرماني، علي بن عيسى. (١٩٨٤م). رسالتان في اللغة منازل الحروف والحدود. (تحقيق إبراهيم الأسمراتي). عمان: دار الفكر.
١٠. الزمخشري، أبوالقاسم محمود بن عمر. (د.ت). الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأتاويل في وجوه التأويل. (تحقيق عبدالرزاق المهدي). (٤ ج). بيروت: دار احياء التراث العربي.
١١. السيوطي، عبد الرحمن ابن أبي بكر. (١٩٩٨م). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. بيروت: دار الكتب العلمية.
١٢. الفخر الرازي، محمد بن عمر. (١٤٢١ق). التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب من القرآن الكريم. (٣٢ ج). بيروت: دار الكتب العلمية.
١٣. النحاس، أحمد بن محمد. (د.ت). شرح القوائد المشهورات الموسومة بالمعلقات. بيروت: دار الكتب العلمية.
١٤. النشري، حمزة عبد الله. (١٩٨٦م). من مظاهر التخفيف في اللسان العربي. د.م: دن.
١٥. دويكات. جهاد محمد إحميد. (٢٠٠٠م). «أثر المعلقات العشر في النحو العربي». رسالة الماجستير. جامعة النجاح الوطنية بنابلس. كلية اللغة العربية وآدابها.

